

كتاب معدن الجواهر  
في تاريخ  
البصرة و الجزائر للشيخ نعمان

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمه

للدكتور محمد حميد الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله المصطفى .

و بعد فان جهود المسلمين في ميدان التاريخ وافرة معروفة و من مزايا التاريخ الاسلامي الاعتناء بتواريخ النواحي والبلدان الى جانب التاريخ العام . والذين ارحوا بلدا من البلدان ، تناولوا بالبحث ايضا احوال تأسيسها و تطورها ، وما طرأت عليها من التقلبات ، كما ذكروا تراجم المشهورين من سكانها .

## كتب تاريخ البصرة

ان البصرة ليست كالحرمين الشريفين ، مكة المكرمة و المدينة المنورة فيما لهما من القديس ، ولا حتى كدشوق ، و قرطبه ، و بغداد ، و القاهرة ، و استانبول ، و دعلي ، باعتبارها كبار عواصم الاسويين والعباسيين و الفاطميين و العثمانيين و المغول التيموريين . و رغم هذا فان للبصرة مزايا تختص بها فانها المدينة الاولى التي صهرها العرب بعد اسلامهم . فانشأوها بين سنة ١٤ و ١٧ للهجرة ، و هذا قبل تأسيس الكوفة . و البصرة كانت مرفأ لسفن الهند و الصين منذ قبل الاسلام . و كانوا يسمونها في تلك الفترة : ” الابله ” ، ” أرض الهند ، ” و ” فرج الهند ، ” - فصارت اكبر ميناء في العالم في العصر

العيسى . و للمستشرق الفرنسى وليام مارسيه (William Marçais) محاضرة هامة في تمصير المدن الاسلاميه ، ألقاها في المجمع العلمى الفرنسى حين استقباله كعضو في المجمع العلمى . ابدى اعجاباه بحسن اختيار المسلمين المناطق المناسيه- للتمصير مثل البصرة و غيرها . أعنى ، *L'Islam et la vie urbaine*, compte-rendu de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres, Paris, mars 1928, p. 86-100.

ان كتاب القهرست لابن التديم يذكر من تواريخ البصرة :

- (الف) ابو مخنف المتوفى حوالى ١٣٠ هـ ، وله " كتاب مصعب و ولايته العراق " . (القهرست ، طبع اوروىا ، ص ٩٣ )
- (ب) الزهرى ، ف ١٢٤ هـ ، وله " فتوح خالد بن الوليد " ، (ذكر في المقدمه- فتح البصرة أيضا . القهرست ، ص ٩٥) .
- (ج) الهيثم بن عدى ، ف ٢٠٦ هـ ، وله " كتاب نزول العرب بخراسان و السواد " . (القهرست ، ص ٩٩) .
- (د) المدائنى ، ف ٢٣٥ هـ ، وله " كتاب فتوح العراق " ، و " كتاب فتح الابله " ، و " كتاب خبر البصرة و فتوحها ، و يعنى على " دسيمان ، ولايه المغيرة بن شعبه " ، ولايه ابي موسى ، خبر الاهواز ، خبر مناذر ، خبر نهر تيرى ، خبر السوس ، خبر دستوا ، خبر القلعة ، خبر الهرمزان ، خبر شبه بن محسن ، خبر جند يسابور ، خبر صهرياج قرية العبدى ، خبر سرق ، خبر رام هرمز ، خبر البستان " . وله أيضا " كتاب أمر البحرين " . (القهرست ، ص ١٠٠ - ١٠٤) .
- (هـ) عمر بن شبة ، ف ٢٦٢ هـ ، وله " كتاب البصرة " ، و " كتاب أسراء البصرة " . (القهرست ، ص ١١٢) .

وذكر ياقوت في معجم البلدان (٤ البصرة) من المؤلفين في هذا الموضوع :  
 (و) الساجي ، : ، و قال : وقد صنف عمر بن شبة ، وأبو يحيى  
 زكريا الساجي ، و غيرهما كتابا [؟/كتبا] في مجلدات . والذي  
 ذكرناه ، كاف ، .

وذكر حاجي خليفة في كشف الظنون :

(زح) " تاريخ البصرة لابن دهيجان ، وفي قضاتها لابي عبيدة . "

ولم يصل الينا شيء من هذه الكتب إلا :

(ط) فهناك رساله باللغه الفارسيه عزيت الى البديع في تاريخ البصرة ،  
 وقد طبعت في كلكتا بالهند ، قبل زمن طويل . ( ولم أوه ، بل  
 ذكره الاستاذ شارل بيلا في كتابه عن البصرة ) .

و جل ما تيسر لنا اليوم اضافته الى التراث العلمى هو تاريخ البصرة لآحد  
 المتأخرين ، من مؤلفى القرن العاشر للهجرة ، و هو كالحشب المستنقذ من  
 البيت المحترق . ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

### المخطوطة

ان موضوع هذه الدراسة مخطوطة مخرومة مرتين في الوسط ، توجد في  
 تركيا ، وهى نسخه وحيدة ، لا نعرف غيرها في العالم ، و انها تحتوى على  
 كتاب نسجت عليه عناكب النسيان ، فظل مجهولا . . . قلم يعرفه بروكمان ،  
 ولم يشر حتى الى اسم مؤلفه ، و فى المخطوطة مايفيد انها تأليف الشيخ نعمان  
 ابن محمد بن العراق ، الا اننا لا نجد ذكر الشيخ نعمان . وقد كتبنا الى بعض  
 اولى العلم فى بغداد ، و رجعنا ايضا الى بعض المتخصصين فى المعارف الشرقيه  
 من المستشرقين الفرنسيين والابطالين والالمايين ، و رغم ذلك فاننا لم نظفر  
 بما كنا بصدده .

وقد وافقتى الحظ السعيد في السفر الى تركيا سنة ١٩٥١ م للاشتراك في مؤتمر المستشرقين باستنبول ، فوفقت في زيارة كثير من بلاد تركيا باحثا عن المخطوطات العربية ، لانهما تتوفر في جميع انحاء تركيا في مدنها وقراها التي لا يكاد يذكر اسمها في الخارج لصغرها وعدم اهميتها . وهي من أوقاف العلماء والوزراء والقضاة . اما اعتناء الاتراك واهتمامهم بالكتب والمكتبات وذخائر المخطوطات على مرالعصور فان ذلك معروف ينظر اليه الشرق والغرب بنظر القبطه . فجزاهم الله خيرا بما صانوا واحتفظوا على هذا التراث القيم العظيم .

ولما وصلت اثناء هذه الجولة الى قونية الشريفة التي فيها مرقد مولانا جلال الدين الرومي ، فزت بهذه المخطوطة صدقة في مكتبته يوسف آغا (رقم الدفتر القديم ٢٩٢ ، و رقم الدفتر الجديد ٧١٩٩) . و تفضلت ادارة المكاتب العمومية في أنقرة قرخت لي في تصويرها . و انني لانتبهز هذه القرصه لاعبر لها عن جزيل شكرى القلبي الخالص .

### وصف المخطوطة

نجد صفحة عنوان الكتاب عنوانين :

( ١ ) اسم الكتاب . و هو " كتاب معدن الجواهر بتاريخ البصرة

(١) ولايتهم بان الاتراك قاموا بنهب هذه المخطوطات بعد أن تحوا اقطار الشرق الادنى و الاوسط . لان مخطوطات عصر ما قبل فتوحاتهم في مكتبات تركيا قليلة تكاد لا تتجاوز عد الاصابع . اما المخطوطات التي يصل عددها الى نصف مليون في استنبول ومثلها في باقي انحاء تركيا فانها من مخطوطات ما بعد فترة الفتوحات التركية من العصر السلجوقي والعثماني . و يبدو أن علماء الترك قاموا باستماخها للاستفادة منها فاحتفظوا بالنقل ، و قد ضاع الاصل الذي نقلوا منه ، بمرور الزمن .

و الجزائر، للشيخ نعمان بن محمد بن العراق رحمه الله عليهم أجمعين  
الى يوم الدين،، . و المراد " بالجزائر،، ، تلكم التي في الخليج  
الجامع للساحلين الاسلاميين العربي و القارسي .

(٢) اسم مالك " تواريخ البصرة و الجزائر مع توابعها، للفقير احمد بن  
أبي بكر القاضي بماردين، تملكه بالشرء في قسطنطينيه المحروسه في  
سنه ٩٩٥،، .

وليس عليها شئ آخر، سوى ختم مكتبه قويه و امضاه لا يكاد يقرأ لعله  
" احمد مصطفي،، .

و تشتمل المخطوطه على ٥٢ ورقه و كل صفحه منها على ١٣ سطرا،  
أبعادها ٢٢ × ١٣ سم . و الكتابه بخط نستعليق . و الاوراق خاليه  
من الارقام، و انها قد رقت فيما بعد بالارقام الانجليزيه و قد سها من كتبها،  
فلم يرقم على الورقه الاولى . فنجد رقم 1 (على الورقه التي هي ٢٧ / ألف، و  
رقم 2 على التي هي ٣ / ألف، و هلم جرا . فاضطررنا الى ترقيم الورقه الاولى  
/ ألف، / ب، ثم ١ / ب، و على هذا القياس . ولما سقط من الاوراق بسبب  
الخرم المذكور تحت سمينها "، مكرر، و " ٢، مكرر، .

وبين الورقه " .، و ورقه " ١،، خرم . ففي آخر الورقه . / ب :  
" السلطان بن السلطان بن السلطان المظفر"، ثم تحته على الهامش كلمه  
" سليمان،، للإشارة الى ما تبتدى به الورقه ١ / ألف . ولكن الورقه ١ / ألف  
الموجودة تبتدى بعبارة : " وهو يتأمل أنهارها، الخ . ولا بد أن تكون  
هذه السقطه امتدت الى ورقتين أو أكثر .

وكذلك بين الورقة "م" و"٣" خرم ثان. فالورقة ٢/ب تنتهي  
بالكلمة: "وبين أهل المدينة وأهل مكة"، و تحتها على الهامش:  
"والحسنة"، إشارة إلى ما يجب أن تبتدىء به الورقة التالية، ولكن الورقة  
٣/ألف الموجودة تبتدىء بالقول: "أبو عبيد البكري الاندلسي"، وكان استداد  
هذه السقطه مثل الأولى.

وسياخذ الناظرون في هذا الكتاب اننا حاولنا جاهدين تصحيح تلك  
الاطئه و وقتنا في العثور على بعض مصادره، فقلنا منه تلك العبارات التي  
استصعب أخذها من الاوراق الباليه المخروقه المخرومه، في هذه المخطوطه.

ومن اعجب العجائب، أن الكتاب لا يبتدىء بالبسملة المأثوره. وسبب  
ذلك فيما يظهر، هو أن الناسخ طلب من رسام تذهيب أول الكتاب و أن يترك  
موضعا خاليا للبسملة بالتلوين. فسمى الرسام و كتب هناك اسم الكتاب، بدل  
البسملة، فكتب: "كتاب معدن الجواهر بتاريخ البصرة و الجواهر".

ولما تعذرت قراءة النص في بعض المواضع من شريط التصوير، فقد التمت  
من الصديق الفاضل الدكتور محمد طيب أوكج استاذ جامعه اقرة أن يراجع  
الأصل عند احدى زيارته لبلدة قونيه. ففضل مشكورا بتلييه رغبتي، ثم  
اخبرني بما نصه: "أما الكلمات التي لا تقرأ في العكس الشمسي لاتقرأ  
أيضا في المخطوط اذ أنها مسحوة مطلقا". فشكرنا له على كل حال، و  
حاولنا قدر الطاقة أن نجد بالتخمين بديلا للمطموس.

المخطوطه اذن كامله فيما عدا هذين الخرمين. و أهم من هذا أننا نجد في  
آخر الكتاب على الورقة ٥/ب عبارة بغير خط ناسخ المخطوطه

يقول في سطرين: " والله تعالى أعلم. ثم مقابلته على يد مؤلفه عفا الله تعالى عنه و أدام دوله سلطانه ،، .

والكتاب - كما ذكرنا آنفا - موجه الى السلطان سليمان القانوني. وقد كرر المؤلف ذكره في الكتاب، فقال في الورقة ٣٩/الف: " ثم وليها الأمير يحيى بن فضل . ثم أراد الله تعالى لهذه البلاد خيرا . . . حيث ألهم . . . مولانا السلطان سليمان أيده الله بنصره أخذ هذه البلاد ،، .

### عصر المؤلف

يتبين لنا بوضوح أن هذا الكتاب قد ألف بعد فتح البصرة (والعراق) على يدى سليمان القانوني . وفي حياة ذلك السلطان .

ومعلوم أن السلطان سليمان الثاني، المعروف بسليمان القانوني، ولد في سنة ١٤٩٥/٥٩٠١ م وتربع على العرش بعد وفاة أبيه السلطان سليم في سنة ١٥٤٠/٩٢٨ م، ثم فتح بلاد المجر (هنكلوبا)، و حاصر فينا عاصمته النمسا (أوستريا)، و توفي في سنة ١٥٦٠/٩٦٩ .

و معلوم أيضا أن أتراك الكبش الأبيض (آق قوونلو) كانوا يحكمون العراق بعد ما نجاها الله من تسلط هلاكو و أخلافه. ثم جلدت دوله الصفويين تحتل مكانهم، الى أن بدأ فتحها على أيدي العثمانيين في ١٥٣٤/٩٤١ . و ذكر عباس العزاوي (تاريخ العراق بين احتلالين<sup>٢</sup>، ج ٤، ص ٤٩) أن والى البصرة

(٢) ان أختانا الفاضل، عفا الله زانه ووقفه للرشاد، لم يحسن عندما استعمل كلمة "احتلال" للعثمانيين و سوى بين المسلمين و كفار الفرنج . ان البلاد بلاد الاسلام، لا بلاد العرب و المعجم . أليس ابويهل و ابولهب من أعرب العرب؟ ألسنا، مع ذلك، نقضل عليهما و على أمثالهما سيدنا بلال الحبشي، و سيدنا سلمان الفارسي، و سيدنا صهيب الرومي؟ أليس "ان أكرمكم عند الله أتقاكم"؟ و أن "لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى"؟ و ان "اسمعوا و أطيعوا و لو أمر عليكم حبشي أجمع"؟ وقتنا الله جميعا لما فيه رضاه . يتهم يبدلون عنوان هذا الكتاب المهم عند طبعة جديدة .

الامير راشد خضع للحكم العثماني في ٩٤٥ ، و تم التحاق البصرة في ٩٥٣ /  
 ١٥٤٦ . وكان رجال الدولة الصفويه لم يكونوا كما يجب، فيذكر العزاوي  
 (ج ٤ ، ص ١٨) عن أهل بغداد، أنه لما وصل جيش السلطان سليمان ،  
 "فتحوا له الابواب مستبشرين سرورين" .

فكتابتنا قد ألف اذن بعد السنة ٩٥٣ وقبل السنة ٩٦٩ هـ حيث توفي  
 السلطان سليمان . فمؤلفنا من علماء القرن العاشر للهجرة . وهذا جميع ما نعرف  
 عن هذا المؤلف .

### مزايا التأليف

لقد صحح المؤلف المخطوطة بيده كما ذكرنا آنفا وقد وجدنا أحيانا  
 التصحيحات بخطه في أثله الاوراق ، ولكنه أهمل أحيانا أغلاط الصرف والنحو  
 وكتب دائما " اين ، حتى في وسط الاسمين . وأشنع من هذا ، أنه بدأ بذكر  
 فقهاء البصرة ، ثم أدخل خلال ذلك (الورقة ١٩/ب) سطرين في ذكر  
 " النساء المشهورات بالجمال ، ، واستألف بعدها ذكر باقي الفقهاء ، ولم يتببه  
 عند المراجعة الى هذه الزلة . رحمه الله وعفا عنه . ولعل المؤلف أراد اضافته  
 باب الى الكتاب ، فكتب بعض المعلومات للتذكير على هامش مسودته ،  
 فنسخها الناسخ في المبيضة حيث وجدها في المسودة . فخليتها على ما هي  
 راجين سماحة القارئين .

وكذلك ذكر مؤلفنا أحوال سيمياوي ، فسمه مرة (الورقة ٥١/ب)  
 "رافضيا" ، ثم بعد ذلك (على الورقة ٣٩/ألف) "خارجيا" فلم يتببه ، كذلك الى  
 هذا التناقض ، أقال الله عشرته . و يمكن أن يكون مراده من الخارجي :



الباغى الثائر، لاسن ينتمى الى فرقة الخوارج .

والذى يظهر من مطالعة الكتاب وفحصه أن مؤلفنا اكتفى باقتباسات من الكتب القديمة، خاصة التي ألقت في القرن الثالث للهجرة . فالفقهاء والمحدثون والزهاد الذين يذكر أسماءهم المذكورون كلهم أو جلهم في طبقات ابن سعد و بين رواة تاريخ الطبرى ، ولم يذكر من تأخر منهم الا من كان معاصرا للمؤلف قبيل الفتح العثمانى . ولا نجد الا اشارة بسيطة الى طغیان التتار و الغلاء الخلافة العباسية في سنة ١٢٥٨/٦٥٦ .

و وجدنا أن أكثر اقتباساته من الروض المعطار في خبر الاقطار للحميرى ألفه حوالى سنة . . . ٩٠٥ هـ — وهو معاصر مؤلفنا — مع الاشارة الى ذلك في بعض الاحيان وسع اغفالها في أكثرها . وقد ساعدنا على التحقيق من ذلك أن مخطوطة الروض المعطار محفوظة لحسن العظ في استانبول في مكتبة بيرام باشا رقم ٤٤ (وليس في مكتبة نور عثمانيه كما زعم بروكلمان) . وهو كتاب في الجغرافيا، جليل القدر، ضم الحجم، وللكتاب مخطوطة أخرى في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة . وقد زعم مؤلفنا أحيانا (الورقة ٤٣/ألف) أنه يقتبس من " يتيمه الدهر، للثعالبي، بينما هو في الحقيقة ينقل من الروض المعطار، ويتابع اخطاه مؤلفه . ولو أنه نقل مباشرة من " يتيمه الدهر، لما تورط في هذه الاغلاط .

### مصادر التأليف

ان مؤلفنا يروى عن كثيرين (راجع القهرست الابجدى في آخر الكتاب، تحت كلمة " كتاب، )، فيروى عن طبقات ابن سعد، و صحيح مسلم، و يتيمه الدهر للثعالبي، و المقانات للحريرى، و المقصورة لابن دريد، و معجم ما

استعجم لابن عبيد البكري الاندلسي . وهي كلها مطبوعه ، موجودة بين أيدينا . و روى كذلك عن كتاب البلدان لليعقوبى . وهو مطبوع أيضا و ان كان مغروما على ص ٣٢٣ ، عند ذكر البصرة موضوع بحثنا . فلم تقدر على الاستفادة منه لتصحيح نص كتابنا (ورقه ٢/ ألف - ب) . والبحث يتعلق بالكوفة- ولكن اليعقوبى لم يذكره في ذكر الكوفة- أيضا .

و يروى مؤلفنا أيضا عن الروض المعطار للحميرى ، و اعتلال القلوب للخراطى ، و دميّه القصر للباخرزى و المستقصى للزمخشرى . و مخطوطات هذه بين أيدينا الا أننا لم نتمكن من الاستفادة " باعتلال القلوب " ، و ذلك لاقتنا في باريس و هو لا يوجد الا في غوطا (ألمانيا الشرقية) ، و القاهرة ، و بروصه- (في تركيا) - كما أشار اليه برو كلمان .

أما تاريخ القضاء ، و تاريخ محمد بن سهل ، و كتاب لوائح الانوار ، التي ذكرها مؤلفنا فلم نجد لها مع الاسف عينا ولا أثرا .

### المصادر الحديثه

ان الاعتله بتاريخ البصرة ازداد في عصرنا هذا مع ظهور النهضة العلميه الحديثه . فنشر الاستاذ صالح أحمد مقالا في خطط البصرة (لم أراه) . وهناك مادة عن البصرة في دائرة المعارف الاسلاميه في طبعتيها القديمه والجديده . ولعل أوفى ما كتب فيه هو الكتاب الفرنسى " البيئه البصريه و تربيته الجاحظ " ، للاستاذ شارل يلا من جامعه باريس : (Charles Pellat, Le milieu basrien et la formation de Jāhiz).

و هو على نهج المستشرقين المعتاد ، و فيه فوائد كثيره ، و معلومات وافرة جمعها المؤلف من مصادر شرقيه و غريبه . و الكتاب أطروحه الدكتوراه .

فلو نشره المؤلف مرة جديدة لاستفاد من مصادر لم يعرفها عند الطبعة الأولى، وكان أنفع وأغزر مادة. ولقد ترجم ابراهيم الكيلاني هذا الكتاب الى العربية (تحت العنوان " الجاحظ في البصرة و بغداد و سائر " ، دمشق ١٩٦١ ) ولكن مع الاسف يحذف أبواب مفيدة ، مثل جداول الولاية و القضاة بما فيها من التصريحات بزمنهم وبمصادر المعلومات وغير ذلك .

### متهاج التأليف

ان مؤلفنا قسم الكتاب قسمين : قسم يخص البصرة ، و هو القسم الاوفر ويشتمل على ثلثه ارباع الكتاب . و الباقي عن الجزائر و القرى التابعة اقتصاديا للبصرة ، مثل خارك ، و أوال (وهو جزيرة البحرين الحالية) ، و دبي وعمان ، الى غير ذلك .

وبما يتعلق بالبصرة ، فيذكر تاريخ تمصيرها ، ويفصل ولائها ، و قضاتها ، و قضاةها ، و محدثيها ، و زهادها ، و أجوادها وغير ذلك . فليس هو محض قاموس أبجدي ، بل قصد المؤلف الى تبويب المعلومات و تقديمها بصورة سهلة المثال .

### مافات من الكتاب

الكتاب مختصر جدا . فلم يمكن لمؤلفه ذكر شيء كثير . ولكن من العجيب أنه لا يذكر أئمن وثيقه - بصريه - في تاريخ الاسلام ، وهي رساله سيدنا عمر بن الخطاب الى واليه في البصرة سيدنا أبي سومي الاشعري في آداب القضاء وسياسة العدل . فأخذنا على عاتقنا تذييل الكتاب بها ، مع ذكر مصادرها و بحث مالها وما عليها . فما لا يدرك كله ، لا يترك كله .

## خاتمة الكلام

ويمكن لنا أن نقول ان هذا الكتاب من آثار بدايه عصر النشأة العلميه الجديدة في البصرة بعد سقوط بغداد على أيدي التتار الهمجيين . فلو لم تكن الدوله العثمانيه في خطر مستمر و عرضه لهجوم الاقرنج على ديارها من كل جانب ، لتمكنت من خدمه العلم و الثقافه في داخل بلادها أكثر مما تمكنت . وما لا يغفل أن صلات الاسلام ياوروبا بواسطه العثمانيين هي التي فتحت عيون مفكرى الغرب و دعت الى اصلاح الكنيسه الروبيه . فكفى أن مارتن لوثر قائد الحركه الاحتجاجيه ( بروتستانتيه ) معاصر للسلطان سليمان الذي ألف له كتابنا هذا .

لقد كلفني معهد الدراسات الاسلاميه في باكستان بتحقيق هذا المخطوط فحاولت جاهدا تقديمه للنشر و العصمه لله الكبير المتعال . داعيا المولى عزوجل أن يشمل برعايته المسؤولين في هذا المعهد الاسلامى . و القائمين بأمره .

محمد حميد الله

باريس

استانبول